وكان الوزير قد دخل أثناء حديث الملكة، فلما سمع آخر هذا الحديث حيَّا وقال: «إن الأمر كما ترين يا مولاتي، وإن عدوك يطلبون كيف يكون وفودهم عليك وكيف يكون استقبالك لهم؟»

قالت الملكة: «فكيف ترى أن يكون ذلك أيها الوزير؟»

قال الوزير: «ملوك يا مولاتي، فيجب أن يُستقبلوا كما يُستقبل الملوك، ومراسم ذلك معروفة مقررة.»

قالت الملكة وهي تضحك: «بل طغاة بغاة يا سيدي، فيجب أن يستقبلوا كما يستقبل الطغاة البغاة. تلقَّهم أنت إن شئت. أما أنا فلن ألقاهم، ولك أن توكل بلقائهم من أحببت، فإذا مثلوا بين يديك، أو بين يدي وكلائك؛ فخيرهم بين الموت وبين أن يشهدوا على أنفسهم بالطغيان وإهدار حقوق الشعوب، فأيهم اختار الموت فجرعه كأسه، وأيهم اختار الحياة — وكلهم سيختارها — وأشهد على نفسه أنه طاغية مهدر لحق شعبه، فليخلَع نفسه من الملك ولْيُلْقِ إلينا بيده، ونحن نسلمه بعد ذلك إلى وطنه يصنع به ما يشاء، ثم لا تراجعني في أمرهم بشيء قبل أن تنفِّذ ما قدمت إليك.»

وتم كل شيء يا مولاي كما أرادت الملكة، ورُدت إلى شعوب الجن حقوقها المغصوبة، وحرياتها المسلوبة، وتأذَّنت فاتنة في شعبها وفي الشعوب الأخرى بأن أمور الأمم إليها؛ تُشرك فيها من الملوك والرؤساء من تشاء وكيف تشاء، وتقيد ملوكها ورؤساءها من القوانين بما تحب، وتشرف على إنفاذ ملوكها ورؤسائها لإنفاذ هذه القوانين، وتتخفف من الملوك والرؤساء إن خالفوا عن هذه القوانين.

وأقامت شعوب الجن يا مولاي لهذا الحدث أعيادًا رائعة، وأرَّخت به منذ كان وما زالت تؤرخ به إلى الآن، وجعل الجن يتنزلون ببعضه إلى الإنس بين حين وحين، فيفهم الناس عنهم ذلك حينًا ويخطئون الفهم في أكثر الأحيان، وهذا مصدر ما نرى عن الناس من الاختلاف في نظم الحكم ومن اضطراب العلاقات بين الرعية ورؤسائها وبين الأمم والدول.

ومن يدري يا مولاي؟! لعل عالم الجن أن يصل إلى الناس ذات يوم أو ذات قرن واضحًا جليًّا لا لَبْس فيه ولا غموض. أو لعل عقول الناس أن ترتقي ذات يوم أو ذات قرن إلى حيث تفهم عن الجن في غير مشقة ولا جهد. يومئذ أو قرنئذ تصلح أمور الإنسان كما صلحت أمور الجان.

وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح.